المحاضره 01:

الأدب الشعبي العام (المفهوم والاصطلاح)

تمهيد:

الأدب الشعبي هو أدب ينبع من وجدان الشعب، همّه واهتمامه هو الإنسان في كل حالاته، في غناه وفقره، فرحه وحزنه، انتصاره وهزيمته، معرفته وجهله، وفي حاضره وماضيه ومستقبله.

- أولًا: تعريف الأدب الشعبي.

ينقسم مصطلح الأدب الشعبي إلى قسمين: **الأدب والشعب**.

أمّا تعريف الأدب في اللّغة فهو مشتق من المأدبة، جاء في لسان العرب لابن منظور "الأدب الذي يتأدب به الأديب من النّاس سمي أدبا لأنه يؤدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح... والمأدبةُ والمأدبة كل طعام صنع لدعوة أو عرس"* ؛ كما الأدب سمي أدبا لأنه يؤدّب الناس ويدعوهم إلى مكارم الأخلاق.

أما التعريف الاصطلاحي للأدب فنختصره في قول "شوقي ضيف" الذي عرّفه بقوله: "كلمة أدب من الكلمات التي تطور معناها بتطور الحياة العربية وانتقالها من دور البداوة إلى أدوار الحضارة، وقد اختلفت عليها معان متقاربه حتى أخذت معناها الذي يتبادر إلى أذهاننا اليوم وهو الكلام الإنشائي البليغ الذي يُقصد به التأثير في عواطف القرّاء والسامعين سواء أكان من الشعر أو النثر"*؛ بمعنى أن الأدب هو فن القول الذي يكتب بهدف التأثير في القارئ، ويتوسل الكاتب في ذلك بالإنشاء البليغ الذي يستميل أذن السامع والقارئ على حد سواء.

يُعرَّفُ الأدب أيضا بأنه: "التعبير عن تجربه شعوريه وذلك التعبير إنما يتم بأسلوب رفيع يراعي فيه انتقاء الألفاظ وصياغة الكلام بشكل يثير الانفعال والأحاسيس المماثلة"* فالكلام الأدبي يراعي فيه الأديب الأسلوب الرفيع، وفن انتقاء الألفاظ التي تثير أحاسيس القارئ والسامع.

وأما تعريف مصطلح "الشعب" أو "الشعبي". في معناه اللّغوي فيُقصد به القبيلة. "الشَّعب القبيلة العظيمة وقيل الحي العظيم يتشعب من القبيلة، وقيل هو القبيلة نفسها والجمع: شُعُوب، والشَّعب: أبو القبائل الذين ينتسبون اليها أي يجمعهم ويضمهم، وفي التنزيل: وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا. قال ابن عباس رضي الله عنه في ذلك: الشعوب، الجماع والقبائل والبطون: بطون العرب والشعب ما تشعب من قبائل العرب وكل جيل شعب"*

أما التعريف الاصطلاحي للشعب: فهو جمهور من الناس ينتمون إلى رقعة جغرافية واحدة، تجمعهم العادات والتقاليد والدين والأصل والدولة والواحدة.

الأدب الشعبي: يُعرّفه السامرائي بقوله: "إنه الأدب الذي يُعبر عنه باللّهجة العامية والذي يكون مجهول المؤلف ويكون تناقله من جيل الى جيل عن طريق الشفاه"*.

ويضيف المؤلف تعقيبا على هذا التعريف قائلا: "فإن التعريف السابق يكون قاصرا وغير شامل. لأنه يُسقط كل أدب عُرف مؤلفه، كما أنه يُسقط كل أدب مطبوع." وهو محق في ذلك لأن الأدب الشعبي من شعر وغيره يمكن أن يُعرف قائله، كما أن تدوينه لا يسقط عنه صفة الشعبية، وهذا التعريف يصدق على تعريف الأدب الشعبي قبل أن يصبح محط اهتمام للنقاد والباحثين.

يعرِّف الباحث "محمد سعيدي" "الأدب الشعبي" بقوله: "هو ذلك الأدب الذي انتجه فرد بعينه ثم ذاب في الجماعة التي ينتمي إليها مصورا همومها وآلامها في قالب شعبي يتماشى ونظرتها ومستواها الفكري والثقافي واللغوي وموقفها الأيديولوجي إزاء المجتمع"*. يشير الباحث إلى أن الأدب الشعبي يؤلف من طرف فرد بعينه ثم يذوب اسمه في الجماعة فيصبح مجهول المؤلف. وتؤيده في ذلك "نبيله إبراهيم" التي تطرح هذا الإشكال الذي يدور حول "مجهولية المؤلف" في الأدب الشعبي، في قولها: "فمن ذا الذي يؤلف هذه الأنواع الأدبية بأشكالها المحددة؟ أهو الشعب كله أم هو فرد بعينه؟ وهل من المعقول أن الشعب كله يمكن أن يجتمع ليؤلف أسطورة أو حكاية خرافية أو شعبية على سبيل المثال؟... إن هذا لا يمكن أن يحدث بطبيعة الحال. ولم يبقى سوى أن نفترض الأصل الفردي للإنتاج الأدبي. وهذا الفرد الخلاق لا يعيش حياة ذاتية بعيدة عن المجموع، وإنما يعيش حياة شعبية صرفًا. وهو بماله من نشاط إبداعي خلاق يخلق الكلمة المعبرة التي سرعان ما تلقى هوى بين أفراد الشعب جميعه، إذ تكمن فيها روحه وتجاربه ومشكلاته"*؛ فالأدب الشعبي تأليف فردي بصيغة وروح جماعية وهواجس مشتركة.

الفرق بين الأدب الشعبي والأدب العامي: لمعرفة الفرق بين الأدب الشعبي والعامي، يكفي أن نورد هذا القول للسامرائي: "ليس كل ما كتب أو قيل بلهجة بوزن وقافية عامية يسمى أدبا شعبيا"* فالأدب العامي يستعمل أفكارا سطحية ومعانٍ شائعة كما أنه يخلو من الابتكار، أما الأدب الشعبي فإنه يختار الألفاظ الموحية والأفكار العميقة وأسلوبه فني جميل.

- ثانيا: الفرق بين الأدب الشعبي والأدب الرسمي:

الأدب الشعبي	الأدب الرسمي
مجهول المؤلف.	معلوم المؤلف.
الرواية الشفوية.	الكتابة والتدوين.
هو أدب جماهيري.	هو أدب نخبوي.
اللغة العامية.	اللغة الفصيحة.
قابل للتغيير والزيادة والنقصان.	غير قابل للتغيير.

ورغم اختلاف الآراء والتعريفات حول الأدب الشعبي فيمكن القول: أن الأدب الشعبي هو أدب الشعب، يخرج من رحم الأمة، ويؤلّفه شخص واحد، لكن اسمه يذوب في الجماعة. لأن هذا الأدب هو روح الأمة وصوت الجماهير ذات المصائر المشتركة والمستقبل.

مراجع المحاضرة:

- ابن منظور: لسان العرب، مادة (أ.د.ب)، مج1، دار صادر، بيروت، 1963.
- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، دار المعارف القاهرة، مصر، ط و، (د س).
- عامر رشيد السامرائي: مباحث في الأدب الشعبي، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد، (د ط)، 1964.
- محمد سعيدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط).
- نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة، القاهرة، (د ط)، (د س).